لهيب

لهيب كعادته، عندما يصحو في الصباح،يشعل سيجارة قبل أن يتناول قهوته ، تصيبه كحة شديدة، يلعن السجائر ومن صنعها،تدخل عليه زوجته معها القهوة وكأس ماء،ينظر إليها شاكرا،يمد يده إلى علبة السجائر لقد نفذ مافيها،يشرب قهوته على مضض وعاد ليلعن السجائر ،وهو يضغط بكل قوته على العلبة الفارغة.

غصن العم محمود يعمل في حديقة منزلنا وقد نال إعجابي واحترامي .نشيط. مشرق الوجه.يعمل بجد. مرح يغني وهو يعمل.كلما قطع غصنا من شجرة قبله ووضعه في مكانه يلامس أشجاره وكأنه يلامس عشيقته ينتقل من مصطبة إلى آخرى كراقص على خشبة المسرح وبعد انتهائه من العمل يجمع باقة زهور يضعها في مزهرية على طاولة في صالة الضيوف ثم يغادر

بادرته بالسلام متمنيا له صباحا سعيدا. اجابني والبسمة تنير وجهه صباحك اسعد وسعيد وسعاد . قلت اسعدتني كلماتك ارجو ان تحدثني عنك وعن عائلتك وحياتك علني استفيد من خبرتك وأرى انك تحب عملك كثيرا .اجاب:

جئت إلى هنا شابا وها أنا اتقدم باتجاه خريف عمري عشقت هذه الحديقة. نسغها يسري في شراييني. العمل بني هو المدخل

الحقيقي إلى حديقة الحياة وهو مصدر الرزق وطوق الأمان. أملك منزلا يكفيني وعائلة ترضيني. زوجتي تعمل في محل تجاري وولدي يتابعان دراستهما وحياتنا هادئة نستمتع بها ونحاول أن نجعلها أكثر سعادة. الحياة كفاح ولكل مجتهد نصيب
صعود ارتقى درجات السلم ليصعد الى بيت والده الذى طردته منه زوجة والده من سنوات، جاء ليتشفى فيها وليرى نظرتها عندما تعلم انه اصبح من الاثرياء، طرق الباب ببطء فتفتح فتاة ممزقة الملابس الباب، يدخل فيجدزوجة ابيه وقد اصابها العمى وتجلس على كرسي متحرك، تدمع عيناه لرؤية اخوته من ابيه فى حالة يرثى لها، تسأله المرأة من انت؟ فيقول صديق لوالدكم رحمه الله جئت اسدد دينا قديما لوالدكم ويخرج مبلغا كبيرا من المال من جيبة يضعه على الطاولة ثم ينصرف.
ترحيب في مكتبها الفخم استقبلني ورحبت بي ترحيبا حارا، كانت فعلا سيدة راقية كما عهدتها في حذيثنا معا على وسائل التواصل الاجتماعي.
طلبت من إحدى الموظفات هناك قهوتين وجلست على الأريكة التي على يساري، وهي تبدو سعيدة جدا بنزول كاتبها المفضل ضيفا عليها.
قالت لي أنني أبدو خجولا جدا مقارنة بكتاباتي المجنونة التي اعتادت قراءتها،
فأخبرته أن الحياء من سماتي خاصة عندما أجلس رفقة سيدة نبيلة مثلها...
وبينما نحن نتحذث عن مقال نشرته على هذا الفضاء وصلت القهوة، رائحتها الزكية، كانت توحي أنها تستعمل بودرة

برازيلية فاخرة، وهنا عرفت جيدا لماذا هذه السيدة تعشق أدبي وتريد له أن يرى النور.
رفيقة كانت تلعب في الحديقة لوحدها، الكل من حولها يضحك، أرادت كأي فتاة صغيرة أن تكون لها رفيقة او أن تستمتع باللعب مع الأطفال، لكنهم يرفضون تواجدها معهما، حاولت جاهدة أن تكتم غيضها وتكمل لعبها كما تعودت وحيدة، فجأة اقتربت منها طفلة بنفس. عمرها سألتها، لم هي لا تنظم إليهم؟ أو لم اختارت اللعب بمفردها؟ أجابتها: هم من يرفضون وجودي معهم، ولست أنا
سألتها مرة ثانية: ولكن لماذا؟
أجابتها: لأنَني مختلفة عنكم
لم تفهم تلك الطفلة كلامها، أو بالأحرى لم ترد التعمق حتى لاتحرجها، عرضت عليها صداقتها وأصبحتا صديقتان مقربتان لبعضهما البعض، كل شيء يفعلونه سويا، سواء الدراسة أو اللعب.
لم تكتف تلك الصغيرة رزان بكونها أصبحت صديقة لندى، بل أرادت لها أن تشارك الأطفال كل شيء، هم لا يختلفون عنها في شيء، جميعهم واحد وإن كانت هي ذات بشرة سوداء، فهذا لا يعطيهم الحق بإبادتها وإبعادها عنهم، حاولت وبكل الطرق جاهدة بأن يتقبلوا أمرها معهم، لكن في كل مرة يقومون بإهانتها وقذفها بأبشع العبارات، مما كان يسبب لها الإحباط وعقدة من مخالطة الناس، والبقاء لوحدها بجال سبيلها تتخبط بظلم العبودية، ويم العنصرية الطاغية، بين ظلام النفوس، وأنانيتهم المفرطة أدركت نفسها، تقبلت نفسها كما هي ومن

يحبها عليه أن يتقبلها هي لا لون بشرتها، فما دخل اللون بالحياة، لم تخلق نفسها، والخالق يدرك مايفعل، وهم من خلقهم؟ كانت تسأل نفسها وتجيبها في ذات اللحظة، ثم قررت مع صديقتها رزان أن تجري محاضرة على شكل لعبة بالحديقة وهكذا ترى تصرفهم وماهم بقادرين على فعله، وفعلا قامت بخلط مكونات من الألوان ومزجتهم مع بعض وطلبت رزان من واحد منهم أن يخرج اللون الأسود بعيدا عن الألوان فلم يستطع، فكتبت عبارتها، لماذا تحبون اللون الأسود وتلبسونه ولا تحبونه في البشر؟

فكانت عبارة جد قاسية ولينة بنفس الوقت، غير أن لا أحد استطاع أن يجيب ثم طلبت من رزان أن ترسم لوحة بمزج من الألوان دون أن تضيف اللون الأسود، فكانت اللوحة جد باهتة تجعل الناظر لها يشمئز، فجأة أضافت رزان اللون الأسود، فأعطتها جاذبية، وهكذا كتبت عبارة ثانية: يمكن للألوان أن تصنع جمال اللوحات، لكن اللون الأسود هو أكثرهم جاذبية

بفعلها هذا جذبت انتباه الأطفال والتفكير الجيد بها وأصبحوا أصدقاء لها، لا بل أكثر من أصدقاء، فهي كسبت عقولهم ثم قلوبهم معا.

انفصال لقد أخطأ جدي المخضرم حينما أخبرني في طفولتي أن السعادة والأخلاق ثنائيان لا ينفصلان، علاقتهما وطيدة كتماسك ذرات الهيدرجين و الأكسجين، بل حسب زعمه هما أكثر من ذلك ،كان دائما يردد لي هذه الكلمات في طريق ذهابنا إلى مسجد قريتنا الجبلية؛ عش كريما بني و لا تكن من الجاحدين حافظ على الأمانة ولا تختلس ولا تغش ولا تكن من الفاسقين تعامل

مع الناس بمحبة و رفق و كن مع المتواضعين إصبر على الشدائد و لا تكن من القانطين

مرت السنين وبقيت كلمات جدي ترقص بين خلايا دماغي ،فمنذ وفاته جراء جرعة دواء فاسد بسبب طبيب فاسق و أنا أطارد طيف السعادة و أحاول جاهدا أن أتعهد بكلامته،زرعت وردا فحصدت شوكا،و انخفضت نسبة الدوبامين داخل دمي جراء تمسكي بمكارم أخلاقي. كان لا بد لي أن أجاهد نفسي لتحقيق هذه المعادلة ،إشتركت في الميدان الخيري و السياسي فوجدت نفسي معلقا في أحد سراديب أمن الدولة، سحلت و عذبت و جردوني من إنسانيتي، إندثر نسيم زهرة أخلاقي بين أكوام القمامة...

لو كنت فاسقا، سارقا، مختلسا، ظالما، قاتلا لما مورس علي ذلك التعذيب الجسدي والذهني ،إنقلبت المفاهيم حيث أنه كلما كانت يداك ملطخة بحقوق المستضعفين ولسانك نتن بالتهكم على أعراض الآخرين كلما صرت من الفائزين.

بعد تحرري من أغلالي كان لابد لى أن أسلك أحد الطريقين، إما أن أكون خلوقا فأعيش خسرانا شقيا، أو أن أصبح فاسقا فأصبو منبسط الأسارير هنيا، تذكرت وصية جدي فشددت الرحال إلى بلد أوروبي بعد طلب اللجوء السياسي ،فكانت مفاجأتي وجدت أخلاقا بلا مسلمين، وعاد الدوبامين يتدفق داخل دمي من جديد...

شتائم بعد زواج دام عده سنوات وتحملها اسوأ أنواع الإهانات والشتائم من اهل الزوج وضرب والتعنيف من قبل الزوج ذاته

ولأنها يتيمته لم يكن أحدا يقف بجانبها سوى عمها ذالك الشيخ الكبير في العمر ولم يكن بمقدوره سوى الدفاع عنها فقط بالكلام وليس في يديه اي حيله سوى النصح للطرفين بالكلام وتذكيرهم بآيات الله والقصص المعبره عن الحب والوفاء وتحمل الصعاب ..كان يقول لهما دائمآ..ان الحياه لا بدا من تضحية ووفاء لكي تدور عجله الحياه ...فالحياة تضحية ووفاء وحبأ نابعآ من الاعماق وذات صباح استيقظ الناس على خبر وفاه الشيخ الكبير رحل سندها رحل أملها رحلت معه حتى ما تبقى من بسماتها وخيم الحزن على حياتها بالكامل استمرت حياتها على هذا المنوال تحملتها بحلوها ومرها إلى أن رن هاتف أمه ليخبروها أن ابنها قد عمل حادث سير هرع الكل إلى المشفى ليعرف ماذا حدث بالضبط دخول إلى المشفى لفاجئهم الطبيب ان بين الحياة والموت وأن الأبد ان يعملو عمليه في الحال ليوقفو النزيفادخلوه إلى غرفه العمليات وبعد قليل بداء الطبيب يبحث عن متبرع للدم ليك ينقذ المريض وبدأو مندهشين فلم يستجيب لنداء الطبيب لا ام و اب ولا صديق وحتى الأخ لم يحرك ساكنا هرعت تلك الزوجه المسكينه لتبلغ الطبيب بأنها المتبرعه للدم المريض الكل في سكات تم التبرع للدم وخرجت وبعد ساعات فاق المريض وسأله الطبيب عن تلك المرأة فأخبره بأنها زوجته وسرد له الطبيب قصه التبرع بالدم تفاجئ الزوج وبكى بكى المآ بكى ندم كيف عاملها وكيف عاملته دخلت إليه وهي تبكي تقول له بصوت متقطع الحمد لله على سلامتك قال لها وهو يذرف دموع الندم لماذا فعلتي هذا انا ظلمتك على مر السنين وانتي تفعلين هذا معي قالت اني على مر تلك السنين قد

أحببتك من كل قلبي وحبك هو الذي جعلني اصبر كل هذا الصبر لعل الله يهديك إلى طريق الصواب .فالحب تضحيةووفاء والخيانه نارا وشقاء

تمت